المشروع النهضوي في الجزائر

-بحث في العوائق والمؤثرات-

د. قوعيش جمال الدين

جامعة الجزائر2

مقدمة؛

إذا كانت اشكالية النهضة هي أعظم تحد يواجه بلدنا، فلماذا الانشغال بالترف الفكري الذي يخوض في مسائل لا تقدم شيئا لواقعنا المتخلف فالشعور بثقل المسؤولية لأجل المساهمة في تقديم خدمة ملموسة للمجتمع هو المحفز الذي دفعنا لدخول غمار البحث في هذه الاشكالية. أمّا القول أنّها إشكالية استهلكت بالبحث، فنجيب عنه بأنّ استمرارية تخلفنا تستدعي مواصلة البحث إلى أن نتجاوز هذا الوضع، كما أن لكل باحث وجهة نظره الخاصة التي تجعله يعالج الموضوع بشكل مختلف عن غيره من الباحثين.

انّالشباب الجزائري اليوم، يجهل تماما معوقات المشروع النهضوي في الجزائرومختلف الظروف والملابسات التي حالت بيننا وبين الركب الحضاري الذي ما فتئت الهوة أن ازدادت كبرا وعمقا.

ترى ما أسباب التخلف الحضاري التي تعيشهأمتنا العربية والإسلامية، بما فيها أمة الجزائر، بالرغم من أن بداية محاولات النهوض قد تجاوزت قرنا من الزمن؟ أو بصيغة أخرى؛ ما أبرز المعوقات التي ظلت تقف حاجزا أمام مختلف المحاولات النهضوية التي قام بها الرواد الأوائل سواء من دعاة حركة الاصلاح الديني أم من تيار التحديث العلماني، بما فيهم من فلاسفة ومفكرين؟
وما سبل تجاوز هذه المعوقات؟ وهل يمكن طرح البديل الذي من شأنه بأن يحدث نهضة وطنية شاملة تعيش عصرها من غير أن تنقطع عن مرجعيتها الذاتية والتاريخية؟

1-الارهاصات الفكرية الأولى:

قبل كل شيء يجب بحث المعوقات الذاتية المتمثلة في الأمراض الداخلية التي يعاني منها الانسان الحديث، ويجب تصنيفها إلى ثلاثة أقسام كل قسم يمثل جانبا من جوانب شخصية الأمة، أمّا الجانب الاجتماعي يتمثل في تشخيص أهم الأمراض الاجتماعية التي ظلت تكبل حركة النهوض وتشمل المظهرية في الثقافة، وتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية وعدم توازن العوالم الثلاثة(الأفكار والأشياء والأشخاص) بالإضافة إلى انحراف الممارسة السياسية عن أهدافها وغاياتها المثلى. بينما الجانب النفسي مفاده تلك العقد النفسية التي أدت إلى غياب الفعالية من جهة والميل إلى التكديس من جهة ثانية، وكذا التعامل السلبي مع المشكلات والأزمات. والجانب الفكري يمكن من خلاله كشف الغطاء عن أمراضنا الفكرية المتعددة والمعقدة في آن واحد ممثلة في النزعة التجزيئية والسطحية التي تتناول المشكلات مجزأة بعيدا عن إطارها الكلي المترابط والمتكامل، بالإضافة إلى غياب أهم آلية من آليات التطور المعرفي والمتمثلة في النقد الذاتي البناء الذي يصحح الأخطاء من أجل الدفع بحركة النهوض لتجاوز معوقاتها واختصار مسافة سيرها، وكذا الابتعاد الكلي عن العمل المنهجي العلمي المنظم الذي يعتمد على مبدأ القوانين الكونية والنفسية، بالإضافة إلى ظاهرة الاغتراب بنوعيه الزماني والمكاني؛ الأول يبحث عن حلول مشكلاته في الماضي والثاني يبحث عن حلول مشكلاته عند الآخر الغربي.

من خلال ما ذكر سابقا،أمكن معالجة أزمتنا الحضارية والمتمثلة في دور الاستعمار في إعاقة حركة النهوض الحضاري للأمة. وعليه، يجب التطرق إلى دور الاستعمار في تلغيم الثورات أثناء مرحلة انطلاقها ومصادرة ثمراتها في مرحلة مابعد الاستقلال وبينا من خلاله مختلف الصيغ والآليات التي يستخدمها لتحقيق أهدافه، ثم بعدها بينا دوره في اختراق الممارسة السياسية واحتوائها لغرض توجيهها وفق مصالحه التوسعية التي تقوم على إلغاء الآخر، لننتقل بعدها من الممارسات الاستعمارية التي تقوم على أساس القوة إلى الممارسات التي تقوم على أساس الصراع الفكري وبينا من خلالها أهم الخطط العلمية التي يعتمدها الاستعمار لتحطيم الأفكار والمشاريع النهضوية الجادة والفعالة.[1]

في الأخير، يتمثل الارهاص الحقيقي في البحث عن البديل الذي يبحث عنه كل مواطن غيور على وطنه، وذلك لتجاوز المعوقات الذاتية والموضوعية التي تقف حاجزا أمام المحاولات النهضوية الجادة، التي تعتبر أهم الأسس والمقومات التي يقوم عليها هذا المشروع البديل ممثلة في: بناء شبكة العلاقات

1-صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، تر. طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، الطبعة الثانية، 1999م، ص.32.

الاجتماعية وتوجيه الممارسة السياسية وأخلقتها، وبناء المواطن الصالح، والتأسيس للعمل المنهجي، والانطلاق من الواقع والإبداع لتجاوز التقليد، وربط الفكر بالعمل لتحقيق الفعالية.

2-البحث عن أهم المعوقات والمؤثرات:

إنّ المشروع النهضويالحقيقي لا يمكن أن يكون قائما على النزعة الانفعالية التي تتجاهل الحاضر تجاهلا تاما بسبب الانبهار بمنجزات الغير سواء من القدماء أو الغربيين، وإنّما هو مشروع قائم على التحليل العلمي والعقلاني لظاهرة التخلف الحضاري الذي يعيشه المجتمع؛ بحيث قام في البداية بتحديد المرحلة التاريخية التي نعيشها وهي مرحلة مابعد الحضارة، وانطلاقا من خصوصيات هذه المرحلة حاول مالك بن نبي أن يحدد الخصائص النفسية والفكرية والاجتماعية لإنسان مابعد الحداثة والتي تمثل أهم المعوقات الذاتية التي وقفت في وجه المحاولات النهضوية ومنعتها من تحقيق أهدافها الحضارية ويمكن ذكر أهم وأبرز هذه المعوقات في قضية ما يسمّى بالجهل المركب[2] الذي يتميّز به المثقف الجزائري (أو العربي)الذي أصبح يشكّل مرضا مزمنا ومعديا ومتوارثا بين الأجيال، لأنّ"الشخص الجاهل" الذي يقدم نفسه على أنّه خريج جامعي، أو "حامل لكتاب الله"، لايدرك بأنّه جاهل ويعتقد بأنّ الشهادة التي حصل عليها هي المقياس الوحيد لمكانته العلمية، ولوقوعه في نوع من الغرور وجنون العظمة، ليصبح غير معترف البتة بأخطائه ولا يصححها.

كما أنّ تمزق البناء الاجتماعي للأمة، وسيادة النزعة الفردية في المجتمع ممّا يؤدي إلى انعكاس معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها، فيحدث الاصطدام الداخلي الذي يقضي على العمل التكاملي الجاد ويؤدي إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لاجدوى منه.

أمّا الأفكار السائدة في العالم الاسلامي اليوم فما هي إلاّ مزيج من الأفكار التي تعيق التطور والنمو وتتمثل في الأفكار الميتة والأفكار القاتلة، ورغم اختلاف مصدريهما إلاّ أنّ كلاهما يؤدي إلى الهدم لا البناء.

وعليه، فإنّ طبيعة العلاقة بين الفرد وعالم الأشياء يحددها المعيار الصبياني في التعلق بالأشياء، إذ لم يعد الانسان يستمد مكانته الاجتماعية من كونه إنسانا ولا من زاده المعرفي وإنّما من كمية الأشياء التي يمتلكها ويتصرف فيها.

2-رجب بودبوس، ماضي المستقبل؛ صراع الهوية والوطنية في عالم يتعلم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م،ص.ص.:55-56.

فضلا عن ذلك، أنّالشعب الجزائري لم يعد يؤمن بمشاريع فكرية معيّنة، بل كل ما يشد انتباهها هو ذلك "الشخص النموذجي" الذي يعتقد أنّه يمتلك جميع الحلول لمشكلاتهم الخاصة، إلى درجة أن يتحول شخص الزعيم إلى وثن يعبد إمّا خوفا أو انبهارا أو طمعا.

لكن ثمّة قضة أساسية لا بد من ذكرها في هذا العنصر، تتمثل في انحراف الممارسة السياسية في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة، بحيث "انفصلت" السياسة عن القواعد والأسس العلمية التي تقوم عليها وتحولت إلى خداع وتضليل يمارسه بعض السياسيين لمغالطة أصحاب النوايا الطيبة والسذج من الجماهير، واستخدام جماجم الضعفاء كجسر للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

كون أنّ تفكير المواطن الجزائرييتميّز بأنه تفكير نظري غير مرتبط بأهداف عملية، وأغلب من يسمون أنفسهم بدعاة التغيير يكثرون الكلام من دون أن يكون لذلك أي انعكاس ايجابي على الواقع.

الأمر الذي سيؤدي إلى عدم استغلال الوقت والمال بعقلانية واعية لأهدافها ووسائلها وأحوالها، وكذا سلبية المثقف العربي الذي لا يتفاعل مع هموم أمته، ويكتفي إمّا بالانطواء على ذاته طلبا للسلامة، وإمّا هروبا إلى الخارج بحثا عن المكاسب المادية وإمّا بتحوله إلى أداة في أيدي مالكي سلطة القرار.

إنّ لجوء المجتمع العربي إلى التلفيق بدل البناء، وطغيان الشيئية أعمى بصيرته وجعله يغفل عن البناء المرحلي التكاملي ويبدله بتكديس منتجات الحضارة إلى جنب بعضها البعض معتقدا أن هذه المنتجات هي التي تصنع الحضارة في حين أن العكس هو الصحيح بحيث أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، ويشتمل التكديس على الأشياء والأفكار والأشخاص.[3]

ويرى مالك بن نبي-رحمة الله عليه- أنّ الاستعمار ما كان ليعمر طويلا في العالم الاسلامي لو لم يجد الأرضية مهيأة لبقائه من خلال ذلك الاستسلام التام بل والوقوف إلى جانبه من طرف البعض وتبنى أطروحاته والدفاع عنها من طرف البعض الآخر، ومنه فالقابلية للاستعمار عنده إنّما تعني تلك الحالة النفسية السلبية المتمثلة في الرضا بالعدم، والاستسلام للهوان والعجز عن مواجهة تحديات الواقع ومشكلاته.

وأسباب تعطل المشاريع النهضوية تعود إلى تلك الانطلاقة غير الموفقة التي لا تقوم على الرؤية التكاملية العميقة، والتي لا تدرك أهمية مختلف جوانب الحياة المادية منها والمعنوية، وتأثيراتها المتبادلة فيما بينها، وإنّما تقوم على رؤية سطحية تجزئ المشكلات، وتطرحها منفصلة عن بعضها بل قد تنشغل بجزئية صغيرة وتراهن عليها لوحدها لتحقيق أهداف النهضة، ولعل هذه النظرة التي تفصل المشكلات عن بعضها وتجزئها هي سبب ذلك الفشل المتكرر لمحاولاتنا النهضوية.

3-المرجع السابق،ص.59.

بقي المواطن الجزائري يعاني من عقدة رفض النقد، الأمر الذي يجعله يتمادى في أخطائه من دون أن ينتبه إليها، وقد يكون سبب هذا الرفض هو التهرب من تحمل مسؤوليات نتائج الانحرافات التي تحدث بين الحين والآخر في مسيرته النهضوية، بحيث أنه يتم اللجوء إلى اتهام الأخر أحيانا واتهام التراث في أحايين أخرى لتبرير العجز أو الخطأ في مقابل الحذر المفرط من توجيه جهاز النقد والفحص للذات.

وبالرغم من وجود النية الخالصة للقيام بالتغيير إلاّ أنّها ليست الشرط الوحيد، بل نحتاج إلى المعرفة الواسعة بسنن التغيير الاجتماعي، وهو العنصر المفتقد في الكثير من محاولاتنا النهضوية، بحيث نجهل حتى خصوصيات المرحلة التاريخية التي تمر بها أمتنا، لذا تجد البعض منّا يلجأ إلى الماضي البعيد لاستعارة حلول جاهزة، أوجدها أصحابها لمواجهة تحدياتهم الخاصة المختلفة زمانيا عنّا، وتجد البعض الآخر يلجأ إلى الضفة المجاورة لاستيراد حلول جاهزة أيضا، أوجدها أصحابها لمواجهة تحديات خاصة بمرحلتهم التاريخية المختلفة عنّا.

كما "اتّفق" الكثير من دعاة الاصلاح والتحديث على تجاهل واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسي لبناء مشروعيهما النهضويين، فعاد دعاة الاصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد، وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه. وبالتالي فهذا الاغتراب الزماني والمكاني هو الذي أدى إلى التلفيق والفوضى أحيانا وإلى اصطدام الجهود أحايين أخرى مما عرقل السير في طريق النهوض.[4]

وفي مقابل هذه الأمراض الداخلية التي ظلت تنخر جسد الأمة فكريا ونفسيا واجتماعيا، نجد حاجزا خارجيا يتمثل في الاستعمار الذي يرفض أن يتحوّل العبد إلى سيد يتخذ قراراته بكل حرية ومسؤولية، كما يرفض تعدد أقطاب الحضارة الإنسانية ومراكزها، كل هذا يدفعه لإجهاض أي مشروع نهضوي أو تحرري يحاول تحقيقه المستضعفون. وقد استخلصنا من هذا البحث مجموعة من الأدوات والآليات التي يوظفها الاستعمار كقيود وحواجز تمنعنا من تحقيق أهدافنا الانسانية والحضارية منها؛ العمل على اختراق مختلف الثورات والمبادرات التي يهدف أصحابها لتغيير أوضاعهم وأحوالهم، من خلال إدخال مجموعة من المتغيرات تساهم في الانحراف بالثورة عن هدفها الرئيسي، كما يقوم بخلق ثورة مضادة تكون في ظاهرها تحمل نفس مواصفات الثورة الأصيلة إلاّ أنّ حقيقتها هي المحافظة على المصالح الاستعمارية وإجهاض الثورة الأصيلة من خلال إبعادها عن مسارها الصحيح.

أو ربما اشتغال أخصائيو الصراع الفكري على ملفات شخص الزعيم الذي تجسدت في ذاته أفكار التغيير والثورة، ومن خلال تلك الثغرات التي يتم اكتشافها يوظف لتحطيم المشروع بعلم منه أو بدون علم، إذ

4- حرب علي، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الرابعة،2009م،ص.79.

تضخم أخطاؤه وتوجه نحوها أضواء الإعلام الكاشفة، وتشجع ثقافة المدح والتملق داخل محيطه، ليحطم بذلك نفسه ومشروعه من خلال تصرفاته.

الأمر الذي سيؤدي إلى مصادرة الاستقلال باللعب على وترين أساسيين وتر التفكك ونشر الرذيلة وتفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية من خلال محاربة القيم الأخلاقية العليا، ووتر السعادة الوهمية بنشوة الانتصار المؤقت والتي تؤدي بصاحبها إلى حد السكر والإغماء، وبذلك تصبح كلمة استقلال بلا معنى، أو مجرد مفردة في القاموس لاعلاقة لها بالواقع.[5]

إنّ تكييف الاستعمار خططه حسب طبيعة الأوضاع والظروف المحيطة فيستخدم الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، أوبإعدام زعماءالثورة هنا وتثوير أقليات العرقية والطائفية هناك، هذا سيؤدي إلى تشجيع تجسيد الأفكار النهضوية المجردة، في ذات أشخاص متميّزين، أو أحزاب أو جماعات منظمة، لأنّ التجسيد يجعله يُحكم قبضته ويمسك بزمام الأمور، عكس التجريد الذي يسهل انتشار الأفكار الفعالة وتوسعها بسرعة نظرا لامتلاكها آليات ذاتية للدفاع عن نفسها. وعند تجسيد الأفكار السياسية تُعدم القيم والمبادئ لتحل محلها المصالح الشخصية وتصبح بمثابة المسوغات والدوافع والمعايير لأي ممارسة سياسية.

واستغلال عواطف الجماهير الساذجة من خلال خطابات راديكالية متطرفة تمثل حقنا مهدئة لغضبها من جهة، ووسيلة لكسب ثقتها من جهة أخرى حتى يسهل توجيهها، واللجوء إلى تجميد طاقات الأمة عند نقطة معينة، من خلال القيام بعمليات استفزازية تحرك العواطف والمشاعر، فتنطلق الجماهير في الثورة والغضب الزائد عن الحد للتفاعل مع بعض الإشاعات والتي ماهي إلاّ لعبة من لعب الصراع الفكري، ولكن حينما تمرر المشاريع المضرة بمصلحة الأمة نلاحظ هدوءا تاما وصمتا رهيبا وظلاما دامسا.

كما أنّ توظيف الاستشراق في عملية الصراع الفكري لارتباطه بمؤسسات الاستعلامات التابعة للاستعمار، وإذا كان دور الفريق الذي حاول تقزيم أو إلغاء دور الحضارة الإسلامية المساهِمة في المنجزات الإنسانية واضح للغاية، فإنّه يجبالتنبيه إلى دور الفريق الثاني الذي نصفه بالموضوعي فهو الآخر مؤسسة لإنتاج مخدرات تمجيد الماضي الزاهر للأمة للانبهار به عوض مواجهة تحديات الواقع المختلف.

5-العالم محمود أمين، الثقافة والديمقراطية والهيمنة الأمريكية، مكتبة مدبولي،القاهرة،2005م،ص.29.

هذا سيؤدي إلى استغلال الفراغ الايديولوجي حيثما وجد بل لاينتظرون وقوعه وإنّما يعملون على صنعه بطرق معقدة وملتوية من خلال استخدام أفكار الغير كجسر لتفكيك وحدة الأمة من جهة وإحداث ثغرات يمرر من خلالها أفكاره من جهة أخرى. أي من خلال خلق تيارات فكرية مصطنعة قد لا تتوافق ظاهريا مع المشروع الاستعماري إلا أنه ينفخ فيها من روحه لغرض خلق توترات بينها وبين التيارات النابعة من إرادة الأمة فتتضاعف بذلك المشكلات وتزداد تعقيدا.

يدفعنا الاستعمار من خلال استفزازاته المتتالية وردود أفعالنا غير المعقولة وتوجيه الأضواء الكاشفة نحوها لتقديم صورة سيئة ومزيفة عن حقيقتنا للرأي العام العالمي، كما تتكوّن لدينا صور ذهنية خاطئة عن حقيقة الآخر نتيجة الضغط المتكرر للانفعالات الناتجة عن الاستفزازات السابقة الذكر، ونقوم بعملية تعميم خاطئة تغلق بموجبها منافذ التواصل ويحتفظ كل طرف بصورة مزيفة عن الآخر، حقيقتها أنها من إنتاج مخابر الصراع الفكري، فنعيش منعزلين عن العالم الخارجي إمّا كمتهِمين للآخر أوكمتهَمين من طرفه لتداس بذلك كرامتنا على أرضية المطارات العالمية بكل برودة أعصاب من جهة الآخر، وبكل خضوع واستكانة من جهتنا.

والقيام بعمليات استباقية تتمثل في خلق تكتلات صغيرة لمواجهة وحدة الكفاح الشاملة، وبسبب التنافس والخلاف بين هذه الوحدات أو التكتلات يتم القضاء على الدافع الروحي الذي يحرك الأفراد العاملين لصالح هذه الفكرة، كما يؤدي هذا الخلاف للانحراف بالمعركة عن طبيعتها فيتنازع أبناء الوطن الواحد أو الدين الواحد أو التيار الإيديولوجي الواحد فيما بينهم، ويلجؤون للاستقواء بالاستعمار على بعضهم البعض بدل توحيد الصفوف لمواجهته.[6]

وكذلك، تشجيع التعصب للأنا سواء كأفراد أو كجماعة، لينقسم المجتمع إلى فريقين متناحرين فريق يتخذ من الاستعمار آلهة فيستسلم لها خاضعا مستكينا ويرفع ألوية الدفاع عن هذه العقيدة الجديدة التي يفوز معتنقها بكل نعم الدنيا، وفريق ثاني يجعل من الاستعمار شيطانا بليدا فيظل يواجهه بانفعال متزايد، والواقع أن الفريقين من صنع مخابر الصراع لأن ما يؤول إليه نشاطهما في النهاية هو النتيجة نفسها، وهي إبعاد المسلم عن واجباته اليومية وتحدياته الواقعية وتخديره إما بنعم الآلهة الجديدة وإما بالحماس والانفعالات التي لا معنى لها في صناعة الحضارة.

6- المرجع السابق،ص.30.

3-البحث عن الحلول ومقاربات الانفراج:

كل ما سبق ذكره يستدعي ضرورة إنشاء مراكز بحث واستشراف تبحث في آليات الصراع وكيفية تجاوزها أو مواجهتها بهدوء لنصل على الأقل إلى مرحلة التوازن في مجال الصراع الفكري.

وبعد تشخيص الحالة المرضية للمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، سواء من خلال أعراض مرحلة الانحطاط أو من خلال العلاقة غير المتوازنة مع الآخر يقترح مالك بن نبي مشروعا بديلا لتجاوز هذه المعوقات، ويقوم هذا المشروع على مجموعة من الأسس أبرزها يتمثل في قيام أفراد المجتمع الفاعلين بجهود تربوية تغرس في ذات الفرد النزوع إلى الجماعة والتخلص من النزعة الفردانية ذات التأثير السلبي على الانسجام الاجتماعي.

كما وجب التفكير في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس أخلاقي مستمد من البعد الديني،[7] والحديث عن بنائها لا يفصل مشكلات الرجل عن مشكلات المرأة، بل لكليهما نفس الواجبات، ومعاناتهما في المجتمع المتخلف واحدة، والعلاقة بينهما علاقة تكامل، لا علاقة صراع يسيطر فيها طرف على الآخر من دون وجه حق.

إنّ ضرورة مراجعتنا لتصوراتنا النظرية وسلوكاتنا العملية، تجاه مسألتي الحق والواجب، بحيث يجب أن نؤسس فلسفة نهوضنا على أساس القيام بالواجب عن قناعة والمصحوبة بالشعور بروح المسؤولية، ونتخلى عن طريق الكسل الذي يكتفي أصحابه بالمناداة والمطالبة بالحقوق من دون أن يحركوا ساكنا.

وضرورة المراجعة هذه تستلزم ضرورة العمل على رأب الصدع وتقليص الهوة الموجودة بين الحاكم والمحكوم من خلال توجيه نشاطات كل منهما إلى اتجاه موحد تتجانس فيه جهودهما وتتكامل لأجل نجاح العمل السياسي وتحقيق غاياته، فالفعل السياسي لن يحقق نجاحه إلاّ إذا تبناه أفراد المجتمع، في إطار تعاون وتفاعل إيجابي بين عمل كل من الدولة والفرد.واستبعاد ذلك التحايل والخداع والمكر من الممارسة السياسية، وربطها بقواعدها العلمية التي تراعي الجوانب الفكرية والنفسية والاجتماعية المعبرة عن خصوصيات الأمة. وتجاوز السذاجة السياسية يقتضي تحديد الأهداف والغايات المرجوة منها بدقة، ثم تحديد الوسائل والآليات الضرورية لتجسيد هذه التصورات، وبالموازاة مع ذلك يجب العمل على توفير

7-برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت،الطبعة الثالثة،2001م،ص.ص.: 71-73.

الوقاية والحماية للمنجزات المحققة، ولعل كسب ثقة المواطن من طرف القائمين على الشأن السياسي يعتبر من الآليات الضرورية للوقاية.

إنّالوعي بمتطلبات الأمة المرتبطة بخصوصيتهما، وإدراك طبيعة المحيط الدولي وأهم حاجيات الإنسانية غير المتوفرة في هذا المحيط، يقتضي إمكانية إرجاع الفاعلية الاجتماعية للعقيدة من خلال معالجة ظاهرة الانفصام المرضي الذي يعيشه المسلم المعاصر.

وتبرز أهمية العنصر الديني في تنظيم الحياة الاجتماعية بعد "فشل العلم"، رغم أهمية ما قام به في المجال المادي . في حل المشكلات في جانبها الأخلاقي، ولعل القيم العليا المستوحاة من السماء هي التي يمكن أن تكون محل اتفاق المجتمعات البشرية رغم اختلافاتها الظاهرية. لأنّ للقيم السماوية خصوصية تتمثل في قدرتها الذاتية على النفاذ إلى ذات الفرد وتوجيه سلوكاته، وما حال البدوي العربي الذي فجّرت طاقاته الكامنة تلك الفكرة الإسلامية وجعلت منه إنسانا متحضرا، إلاّ دليل يجب أن يُذكر في مثل هذا المقام.[8]

يجب بناء الإنسان الجديد القوي بمعرفته لذاته ولغيره والمدرك لدوره والمؤمن بأهمية رسالته، ولا يكون هذا إلاّ بالتركز على التجديد والتغيير فيما يتعلق بالجانب النفسي لإنسان المجتمع المعاصر، لأنّ معجزة التغيير مستوطنة في نفسية الفرد لا فيما يحيط به من وسائل مادية، وتغيير نفسية الفرد معناه تغيير طبيعة علاقاته بالمشكلات التي يواجهها وتخليصه من ذهاني السهولة والاستحالة.

8- عبده، كريم، الدولة المأزومة والعنف الثقافي،المستقبل، بيروت، الفرات للنشر والتوزيع،2002م،ص.68.

خاتمة؛

ومؤدى ما تقدم،إذا أراد الانسان الجزائري تحقيق نهضة فكرية وحضارية لزم عليه في النهاية التعرف إلى ذاته من دون نكران لها ولا تمجيد، وإنّما بعقلانية الدارس والناقد الموضوعي، والتعرف على الآخر من دون عقدة رفض ولا انبهار، وإنّما بمعرفة موضوعية تُظهر حقيقة الآخر بإيجابياته وسلبياته. ليجد بذلك مكانه المناسب في خريطة التطور الحضاري للمجتمعات والأمم. وبعدها يسعى لتعريف الآخر بنفسه، من خلال البحث عن آليات التواصل معه من جهة، ومحاولة معرفة حاجات الإنسانية لغرض خدمتها.

ولن يتم له ذلك إلاّ بتوظيف المعرفة العلمية كأداة للنهوض وتجاوز تلك المرحلة التي تكتفي بالعلم كمظهر أو وسيلة لكسب القوت، وفهم سنن الاجتماع هو الذي يجعلنا نتجاوز مرحلة التقليد المزدوج من خلال إبداع حلول ناجعة تتوافق مع خصوصيات المجتمع الذي يحتاج إلى علاج.

وتضافر جهود جميع أفراد الأمة أمر لا بد منه، قصد تحقيق متطلبات واقعهم والإجابة عن أسئلة حاضرهم هو الأداة المثلى لتجنب القفز على الواقع، ويضاف إلى هذا عنصرا مهما أخر هو الفهم السنني لعالم الآفاق والأنفس، لأنّ التحرر من قيود التخلف مرهون بالوعي بالقوانين والحتميات التي يخضع لها الانسان باعتباره كائن حي من جهة وكائن اجتماعي من جهة ثانية.

وطريق النهضة يمر عبر نكران الذات والكشف عن أمراض المجتمع، فالشعب الذي يريد التحضر يجب عليه أن يعمل ويجتهد في كل يوم وفي كل دقيقة وفي مختلف مجالات حياته، أمّا أن يكتفي بالنوم والمطالبة بالحقوق فذلك طريق الانقراض.

فلكي ندخل لبوابة المجتمع العالمي وضمان مكانة محترمة بين الأمم يفرض علينا أن نسلك طريقا جديدا لم يسلكه غيرنا وأن نقدم للإنسانية بعض الحاجات التي افتقدتها في عصر العلم والمادة رغم أنّها في أمس الحاجة إليها. هذا وعلاج الجدل العقيم والخطابة الجوفاء يكون بالجمع بين العلم النظري والعمل التطبيقي أي ربط العلم بأهداف عملية معبرة عن متطلبات الواقع، لأن الأفكار والنظريات تستمد قيمتها من نجاحها في توجيه الحياة العامة أمّا إن هي عجزت عن التجسيد العملي فما هي إلاّ شطحات غامضة وبلا معنى.

منه، تتحقق الفعالية بالاعتماد على القدرات الذاتية والإمكانات المتاحة مهما كانت بساطتها لأنّ الحضارة في حد ذاتها ماهي إلاّ نتيجة ذلك التفاعل بين الإنسان والزمن والتراب، وتتحقق بتجاوز ذهاني السهولة

والاستحالة، والاتجاه نحو طريق الواجبات، وتوظيف الأفكار الدافعة التي تنشئ توترا على مستوى نفسية الفرد مما يدفعه إلى مضاعفة الجهد والانتاج.

يمكن أن نقول في الأخير، بأنّ إعادة فهم معنى التاريخ من خلال الربط بين أبعاد الزمان بحيث أنّ معالجة تحديات الواقع لا يمكن أن تتم على الوجه الصحيح إلاّ إذا تم ربطها ببعدين أساسيين هما الماضي والمستقبل، وذلك لأنّ مشكلات الواقع ليست وليدة المصادفة وإنّما هي نتاج لأحداث مترابطة ومعقدة تمتد بجذورها إلى الماضي البعيد في حياة الأمة، كما أن محاولة حل مشكلات الواقع لن يكون إلاّ ترقيعا ورد فعل انفعالي مالم يأخذ في الحسبان الأهداف المستقبلية التي تصبو إليها الأمة وتهدف، كل هذا يقتضي الأخذ بعين الاعتبار تكاملية أبعاد الزمان الثلاث وترابطها ببعضها وانعكاسات ذلك الترابط على حياة الأمة والمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

(01)- برهان غليون وسمير أمين،ثقافة العولمة وعولمة الثقافة،دار الفكر المعاصر، بيروت،الطبعة الثالثة،2001م.

(02)-حرب علي،حديث النهايات،فتوحات العولمة ومآزق الهوية،المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثالثة،2003م.

(03)-العالم محمود أمين، الثقافة والديمقراطية والهيمنة الأمريكية، مكتبة مدبولي،القاهرة،2005م.

(04)-عبده، كريم، الدولة المأزومة والعنف الثقافي،المستقبل،بيروت، الفرات للنشر والتوزيع،2002م.

(05)- صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، تر.طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، الطبعة الثانية،1999م.

(06)- رجب بودبوس، ماضي المستقبل؛ صراع الهوية والوطنية في عالم يتعلم،مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى،2001م.